مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية

اسم المقال: مفهوم الإرادة بين شوينهاور ونيتشه
اسم الكاتب: د. منال إسماعيل مرعي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/2859
تاريخ الاسترداد: 2026/11/02 12:24 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

مفهوم الإرادة بين شوبنهاور ونيتشه

د. منال إسماعيل مرعي*

الملخص

شغل مفهوم الإرادة بتجلياته وأنواعه كلّها مكانةً حيويّةً مهمة في تاريخ التّفكير الفلسفيّ بدءًا من الفلسفة اليونانيّة وصولًا إلى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، وتناول هذا البحث اثنين من الفلاسفة الألمان: هما آرتور شوبنهاور وفريدرش نيتشه اللّذين تصدّيا لهذا المفهوم، كلٌّ من زاويته ورؤيته الخاصّة، ولا شكّ أنّ الخوض في عوالم الفيلسوفين للمقارنة بينهما يحتاج لبحوثٍ مطوّلةٍ، ولكنّنا حاولنا [قدر الإمكان والمستطاع] التقاط أهمّ الأفكار الّتي تشكّل البوصلة الموجّهة لبحثنا، وخصوصًا فيما يتعلّق بمفهومنا الأساسيّ في هذا البحث المتمثّل في الإرادة، وبناءً على ذلك وضحنا هذا المفهوم، الّذي يتّخذ نمط إرادة الحياة عند شوبنهاور، في حين بالمقابل يتّخذ نمط إرادة القوة عند نيتشه، وحاولنا في هذا البحث أن نتبيّن هل سيشكّل هذان المفهومان رؤيتين متضادتّين أم متفقتين؟ بعد أن نناقش كيفيّة تجلّي هذا المفهوم لدى كليهما، وبعد التّأصيل لطبيعة الإرادة لدى كليهما وتبيان ماهيّتها وعلاقتها بالجسد والعقل والمعرفة؟ موضّحين النّقد الّذي سيوجّهه نيتشه لمفهوم إرادة الحياة عند شوبنهاور، وكيف أنّه سيفيد ويتأثّر في فكرته الأساسيّة إرادة القوة من سابقه شوبنهاور بعد أن يتجاوز هذا التّأثّر، لنصل إلى الكيفيّة الّتي وظّف وأصّل فيها نيتشه للمفهوم الشّوبنهوري برؤيةٍ جديدةٍ متميّزةٍ تعكس ودرجة إبداعه الفلسفيّ مداه.

* جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة.

The concept of Will between Schopenhauer and Nietzsche

Dr. Manal Ismail Meree**

Abstract

The concept of will in all its forms and types occupied a vital status in the history of philosophical thought, from Greek philosophy to modern and contemporary philosophy. This study addresses two German philosophers, Arthur Schopenhauer and Friedrich Nietzsche, challenged this concept, each from his perspective. No doubt, plenty of extended research is required should we liked to compare the two philosophers. However, we will try, as much as possible, to identify the most important ideas that form the compass of our research, especially with regard to our basic concept in this research, the will. Accordingly, we are going to clarify this concept, which takes the pattern of will of life in Schopenhauer, while taking the pattern of will of power in Nietzsche. We will see how these concepts form opposing visions after we have seen and discussed how this concept can be understood by both parties. All that after establishing the nature of will according to each of them and determining its relationship with the body, mind and knowledge. We will explain Nietzsche's critique of Schopenhauer's concept of the will of life, and how Nietzsche benefited in his basic idea: will of power, from his predecessor Schopenhauer and was influenced by his idea after overcoming that influence in order to define how he established and employed Schopenhauer's concept in a new distinct vision that reflects his philosophical creativity.

** Damascus University, College of Arts and Humanities, Department of Philosophy.

إشكاليّة البحث:

حاول هذا البحث الموسوم بمفهوم الإرادة بين شوبنهاور ونيتشه البحث في فكرةٍ أصيلةٍ هي فكرة الإرادة في فلسفتي كلٍّ من شوبنهاور ونيتشه. فماذا تعني الإرادة عند شوبنهاور الّتي تمثّلت في فلسفته كإرادة حياةٍ؟ وماذا تعني الإرادة كما تجلّت في فلسفة نيتشه كإرادة قوّةٍ؟ هل المفهومان يتكاملان أم يتقاطعان؟ هل تشكّل رؤية كلٍّ من الفيلسوفين الألمانيّين رؤيتين متناقضتين؟ كيف تجلّى هذا المفهوم الرّئيس لدى كليهما عبر تشعّباته الفلسفيّة؟ ما طبيعته وجذوره، وبما يتعلّق؟ ما علاقته بالجسد والعقل؟ أهي علاقة تسيّدٍ أم تبعيّةٍ؟ ما النّقد الّذي وجّهه نيتشه لشوبنهاور؟ هل من طرائقٍ وسبلٍ للخلاص من هذه الإرادات؟ كيف السّبيل لذلك؟ ما دور الحياة وكيف تتبدّى في ظلّ هذه الإرادة؟ لنصل عبر الإجابة عن هذه التّساؤلات وسواها إلى الكيفيّة الّتي تمّ التّوظيف والتّأصيل لها عبر هذين المفهومين.

أهداف البحث:

تتجلّى أهداف البحث في الإجابة عن جملةٍ من التّساؤلات تعكس في مجملها السّؤال المركزيّ في بحثنا أهمّها: توضيح كيف تجلّت إرادة الحياة عند شوبنهاور؟ وكيف تبدّت إرادة القوّة عند نيتشه؟ من خلال المقارنة بين آراء الفيلسوفين، وتوضيح خصوصية الإرادة وتميّزها لديهما، عبر الخوض في ثنايا فلسفتهما وعمقها، من أجل البحث عن جوانب الاتفاق، الاختلاف أو حتى التمايز بينهما فيما يخصّ هذا المفهوم.

أهميّة البحث:

تكمن أهميّة البحث في تناوله لرؤية كلٍّ من شوبنهاور ونيتشه الفلسفيّة لمفهوم الإرادة كما تبدّت لدى كلٍّ منهما كإرادة حياةٍ وكإرادة قوّةٍ، محاولين الكشف عن الأسس والرّكائز الّتي ارتبطت بكلا المفهومين، تلك الرّكائز الّتي توضّحت في علاقة هذه المفاهيم بالجسد، والعقل، والفنّ، والدّين وغيرها من المفاهيم الأخرى الّتي ناقشناها في هذا البحث والّتي عكست مدى الإبداع الفلسفيّ لكلٍّ منهما.

منهجيّة البحث:

كانت آلتنا الفكريّة في هذا البحث المنهج التّحليليّ، والمنهج التّاريخيّ، والمنهج المقارن حسب ما يقتضيه سياق البحث، لتفكيك بنية نصوص شوبنهاور ونيتشه، والبحث فيها بعمقٍ داخل الأبعاد الفلسفيّة والفكريّة لها، ومن ثم ركّبنا وقارنا الأفق الّذي كان يسعى لتبيانه مضمون فلسفتي كلٍّ منهما، لفهم الآلية الّتي استنبط من خلالها كلاهما أفكاره العميقة.

المقدّمة:

الإرادة هي فعلٌ ذاتيٌّ ملازمٌ للعقل يدفع الفرد للقيام بأعماله وأفعالة؛ وهذا الدّافع الواعي نعوّل عليه كثيرًا، لأنّ من خلاله يمكن للفرد أن يكون قادرًا على التّغلّب على العقبات الّتي قد تقف في وجهه، ولعلّ أهمّ ما يميّز هذه الإرادة أنّها تنبع من داخل الفرد وذاته، بمعنى أنّها رغبةٌ ذاتيّةٌ حرّةٌ مصدرها الأصيل هو الذّات بعينها وليس الآخرين. وقد تنوّعت آراء الفلاسفة في تناولهم لمفهوم الإرادة عبر تاريخ الفلسفة منذ الفلسفة اليونانيّة، وحتّى الفلسفة المعاصرة، وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد عبّر عنها أرسطو بقوله: **(إنّ من قذف حصاه لن يستطيع أن يلحق بها، لكنْ كان بوسعه أن يقذفها أو أن يدعها تسقط من يده، إذا كان ذلك متعلّقًا بإرادته)**[1]، كذلك ديكارت رأى أنَّ الإرادة **(هي الّتي تعرّفني أساسًا بأنّني على صورة الله وأنّني شبيهٌ به)**[2]، أمَّا روسو فعبّر عنها بالقول: **(هنالك في الأغلب فرقٌ بين الإرادة العامّة وإرادة الجميع، فالأولى لا تهتمّ إلّا بالمصلحة المشتركة، أمَّا الثّانية فتهتمّ بالمصلحة الخاصّة، لأنّها ليست سوى مجموعٍ من الإرادات الجزئيّة)**[3]، أمّا كانط فرأى أنّ **(حريّة الإرادة هي المبدأ الوحيد للقوانين الأخلاقيّة كلّها، والواجبات الموافقة لها كلّها)**[4].

ولمّا كنا لسنا بصدد العرض لتاريخ مفهوم الإرادة في تاريخ الفلسفة فإنّنا لن نخوض في هذا الغمار كثيرًا، لأنّ بحثنا ركَّزَ على تجلّي هذه الإرادة في فلسفتي كلٍّ من شوبنهاور ونيتشه، ولكنّنا آثرنا التوقف عند آراء الفلاسفة السّابقين كي نوضّح كيف تبدّى هذا المفهوم بمعانٍ مختلفةٍ، من المعنى الذّاتيّ، الجمعيّ، إلى المعنى الأخلاقيّ الّذي دلّ على الإرادة الخيّرة ، لنقول: إنَّ الإرادة قد اتّخذت معانيَ كثيرةً، وتجلّت عبر تاريخ التّفكير الفلسفيّ بأنواعٍ وحللٍ وصورٍ مختلفةٍ' آثرنا عرض جزءٍ يسيرٍ منها، لكنّ الصّورة الّتي قدّمناها في هذا البحث اتّخذت منظورًا مختلفًا عمّا ذكرناه سابقًا، وهذا ما بيّناه تاليًا

---

[1] سعيد، جلال الدين: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004، ص: 28؛ أرسطو طاليس هو فيلسوف يوناني (384 ق.م/322 ق.م)، وهو واحد من أهم الفلاسفة اليونانيين، له مؤلفات كثيرة في المنطق، والسياسة والأخلاق.

[2] سعيد، جلال الدين: مرجع سابق، ص: 29؛ ديكارت هو فيلسوف ورياضي فرنسي(1650/1596)، لقب بأبي الفلسفة الحديثة، وعُدَّت أفكاره فاتحة العصر الحديث، أهم مؤلفاته: مقال عن المنهج وتأملات في الفلسفة الأولى.

[3] صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1994، ص: 59؛ جان جاك روسو هو فيلسوف وكاتب مسرحي فرنسي، يعد كتابه في التربية أميل من أهم مؤلفاته.

[4] سعيد، جلال الدين: مرجع سابق، ص: 29؛ إيمانويل كانط هو فيلسوف ألماني (1804/1724)، أهم مؤلفاته نقد العقل الخالص ونقد العقل العملي.

في هذا البحث، محاولين إظهار أيّ دلالةٍ اتّخذت الإرادة عند كلٍّ من شوبنهاور ونيتشه؟ ما طبيعة هذه الإرادة عند كلٍّ منهما؟، ما شكلها؟، ما مدى القطيعة والتّكامل بينهما؟ هل ترتبط الإرادة بالعقل أم بالجسد في رؤيتهما الفلسفيّة أم هنالك اختلافٌ بينهما؟ ما ماهيّة هذه الإرادة وصفاتها عند كليهما؟ هل من استطالاتٍ لهذه الإرادة بين الفيلسوفين؟ هذه الأسئلة وغيرها حاولنا أن نقدّم لها إجابةً في هذا البحث.

أوّلًا: الإرادة عند شوبنهاور كإرادة حياةٍ:

مثّل شوبنهاور برأي كثيرين ممّن بحثوا في آرائه -بخلاف رأينا- فيلسوفًا للتّشاؤم يحمل نظرةً ميتافيزيقيّةً تشاؤميّةً للوجود، مستندين في قولهم هذا إلى ما سطّره شوبنهاور في كتابه العالم إرادةٌ وتمثّلٌ من قولٍ بأنّ ما يحكم هذا العالم ليس إلّا إرادة الحياة، الّتي هي ليست بتلك الإرادة العاقلة الخاضعة للمنطق، المصحوبة بالمعرفة وتحدّدها الدّوافع[5] لأنّ شوبنهاور يرى أنّ الوجود بكلّ ما فيه من إنسانٍ وحيوانٍ ونباتٍ وجمادٍ ما هو إلّا شرٌّ، وأنّ مصدر هذا الشّرّ هو هذه الإرادة الّتي يعطيها صفات العماء، *اللّاعقلانية اللّامنطق والاندفاع الأعمى الّذي يحرّك كلّ شيءٍ وبها يتحقّق كلّ شيءٍ وتستمرّ الحياة*[6]

لكن لماذا الوجود شرٌّ؟ إنّ الوجود شرٌّ لأنّ الإرادة كما يدلّل عليها شوبنهاور في فلسفته معناها الحاجة الّتي تتطلّع إلى أكثر ممّا تظفر به[7] ، وحتّى *وإن ظفرت بما تريد فإنّها بهذا التلذّذ بالظّفر ستصل إلى حالةٍ من الضّجر والملل الّذي سيسبّب الألم من جديدٍ، وليس ذلك فحسب فهذه الإرادة تزيد من معاناة الكائن الحيّ كلّما علا في سلّم الارتقاء، على اعتبار أنّ هذا الوجود ليس إلا قتالًا ومنافسةً لا تنقطع*[8]، إذًا فجوهر الوجود عند شوبنهاور هو هذه الإرادة، وهذه الإرادة هي مصدر الشّرّ والتّشاؤم في هذا الوجود، وهنا لا بدّ من استدراك ما قلناه منذ البداية في أنّنا لا نتّفق مع وسم شوبنهاور بفيلسوف التّشاؤم لأنّنا نرى من وجهة نظرنا أنّ من يعي طبيعة هذا العالم ويشخّصه لنا بوصفه واقعًا طابعه الشّرّ، فإنّه حسب رأينا فيلسوفٌ واقعيٌّ يعكس ضمنًا رؤيةً متفائلةً وليس بفيلسوفٍ تشاؤميٍّ كما تمّ التّرويج عنه.

---

[5]- غريزي، وفيق: شوبنهاور وفلسفة التشاؤم، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2008، ص: 20.

[6]- شوبنهاور، آرتور: العالم إرادة وتمثّلًا، ترجمة وتقديم: سعيد توفيق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2006، ص: 265 بتصرف.

[7]- شوبنهاور، آرتور: العالم إرادة وتمثّلًا، مصدر سابق، ص: 177.

[8]- أمين، أحمد؛ وزكي، نجيب محمود: قصّة الفلسفة الحديثة، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنشر، القاهرة، 1967، ص: 276-277-278-279 بتصرف.

السّؤال الّذي يمكننا الآن أن نجتهد ونسأله: كيف أصّل شوبنهاور لهذا المفهوم الموسوم بإرادة الحياة؟ للإجابة عن هذا السّؤال لا بدّ من العودة إلى مؤلّف شوبنهاور الرّئيس العالم إرادةٌ وتمثّلٌ، لنتبيّن ما المقصود بقول شوبنهاور العالم تمثّلٌ ؟ وكذلك ما المقصود بقوله العالم إرادةٌ ؟ إنّ العالم تمثّلٌ وفق رؤية شوبنهاور بمعنى أنّه بالنّسبة إلينا ليس إلّا جملة تصوّراتنا فحسب، غير أنّ هذه التصورات مرتبطةٌ ببعضها وفق سلسلةٍ لا متناهيةٍ بمبدأ السّبب الكافي[9]، بمعنىً آخر: إنّ تمثّل العالم وفق فلسفة شوبنهاور يعني *أنّ الفرد قادرٌ على إرجاع كلّ القوانين الّتي تحكم العالم وأشياءه إلى الذّات الفرد وليس إلى أيّ شيءٍ آخرٍ سواها*[10]، وذلك في ظلّ غياب الحكمة الإلهيّة إنّ أمكن لنا الاجتهاد في قول ذلك، إذ إنَّ العالم وفق رؤية شوبنهاور يحكمه قانون العلّة الكافية، وهذا القانون هو القانون الوحيد **(المسيطر على الفكر والوجود معًا)**[11]، ذلك أنّ تصوّراتنا وامتثالاتنا جميعها مرتبطةٌ ببعضها بعضًا في سلسلةٍ غير منتهيةٍ، فكلّ تمثّلٍ مرتبطٍ بغيره ولا تمثّلٍ يقوم مستقلًّا بذاته أو منقطعًا عن غيره من التّمثّلات، وهذه التّمثّلات كلّها مرتبطةٌ ببعضها بعضًا إلى مالا نهايةٍ من العلل غير المنتهية، وكأنّنا نرى أنّ هناك سلسلةً لا متناهيةً من العلل زادت كلّما كانت الذّات في مسافةٍ وبعدٍ عنها، ولكي يسيطر شوبنهاور على هذا الفصل والبعد بين الذّات الّتي تتصوّر العالم وتخضع لمبدأ العلّة الكافية والعلل اللّامتناهية، أيّ موضوعات التّمثّل، فهو ينتقل بالذّات وفهمها للعالم إلى قوله بأنّ العالم إرادةٌ، وعندما يؤصّل شوبنهاور فلسفيًّا لهذا المفهوم، مفهوم العالم كإرادةٍ فهو يريد أن يزيل هذا الفصل، وهذه المسافة الزّمنية بين الذّات، وبين موضوعات تمثّلها لأنّ الإرادة ستصبح جوهر الوجود الحقيقيّ بالمعنى الميتافيزيقيّ، وبذلك سيتثنّى لشوبنهاور القول أنّ هذه الإرادة واحدةٌ إلّا أنّ ظواهرها لا متناهيةٌ في الزّمان والمكان[12].

---

[9]- كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر، ط4، 1966، ص: 289؛ يعدُّ مبدأ السّبب الكافي في فلسفة شوبنهاور مفهومًا مجرّدًا يفترض أنّ كلّ علّةٍ ترتبط بمعلولٍ وليس العكس، وقد ميّز شوبنهاور في مبدأ السّبب الكافي بين أربعة أقسامٍ وهي: مبدأ السّبب الكافي كصيرورة، ومبدأ السّبب الكافي كمعرفةٍ، ومبدأ السّبب الكافي كوجودٍ عقليٍّ كما في العلاقات الرّياضيّة ومبدأ السّبب الكافي كفعلٍ: إذ يتوقّف حصول الفعل على عوامل خاصّةٍ، ومن مشتقّات مبدأ السّبب الكافي: مبدأ السّببيّة، ومبدأ القوانين، ومبدأ الحتميّة؛ ومبدأ الجوهر وكذلك مبدأ الغائيّة؛ انظر: صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص: 649-650.

[10]- بدوي، عبد الرحمن: خلاصة الفكر الأوروبي- شوبنهاور، دار القلم، بيروت، 1942، ص: 77-78 بتصرف.

[11]- بدوي، عبد الرحمن: مرجع سابق، ص: 79.

[12]- غريزي، وفيق: شوبنهاور وفلسفة التشاؤم، مرجع سابق، ص: 86.

فالفرد من جهةٍ ليس هو الإرادة، والفرد من جهةٍ ثانيةٍ يخضع لمبدأ العلّة الكافية، وهو من جهةٍ أخرى يمثّل ظاهرةً من ظواهر الإرادة، الّتي تتّسم بأنّها خارجةٌ عن الزّمان والمكان ومنفصلةٌ عن ظواهرها وتجلّياتها وتمثّلاتها الخاضعة لهذا المبدأ الّتي تتحقّق فيها في الوقت نفسه هذه الإرادة الواحدة غير المنقسمةٍ[13] *بدرجاتٍ مختلفةٍ بحسب ترقّي الكائنات الحيّة من الأدنى إلى الأعلى المتمثّل بالإنسان*[14].

هكذا نجد أنّ هذه الإرادة الشّوبنهاورية لا تمثّل فقط جوهر العالم، بل هي أيضًا جوهر الذّات، الّتي هي ذاتٌ ميتافيزيقيّةٌ محضةٌ، لذلك يقول شوبنهاور: **(إنّ ما يعرف كلّ الأشياء ولا يعرف بإحداها هو الذّات، ومن ثمّ فإنّ الذّات هي دعامة العالم)**[15]، لأنّها كما تكشّف لنا تعكس معرفة وتمثّل العالم، ولكن كيف تعرف الذات إدراك هذه الإرادة الّتي تريد دومًا؟ هل هذه المعرفة لها طبيعةٌ وخصوصيّةٌ تتجلّى بها؟ ما كينونتها؟ بمعنىً آخر: هل المعرفة واحدةٌ أم يميّز شوبنهاور بين كثرةٍ فيها؟ هذا ما تناولناه تاليًا.

أ- الإرادة وعلاقتها بالمعرفة والعقل والجسد:

نستطيع القول وفق قراءتنا لفلسفة شوبنهاور: إنَّهُ يميّز بين نوعين مختلفين من المعرفة: معرفةٌ مجرّدةٌ تجزّء الظّاهرة ، إلى جزيئاتٍ صغيرةٍ، ولا تتيح لنا معرفتها وفهمها ككلٍّ، بل نفهمها فقط كمعرفةٍ مجزأةٍ، ومعرفةٌ عيانيّةٌ يعوّل عليها شوبنهاور كثيرًا على اعتبار أنّها *تتيح لنا معرفة الظّاهرة وفهمها كما هي ككلٍّ وكتمثّلٍ للإرادة*[16].

إنّ ما سبق يقودنا لنتقدّم أكثر في تأصيل مفاهيم شوبنهاور المتعلّقة بالإرادة، وخاصّةً بعد أن وضّحنا نمط المعرفة الخاصّ بتمثّل الإرادة ومعرفتها معرفةً مباشرةً، إذ لا بدّ الآن من توضيح طبيعة العلاقة الّتي تربط بين الإرادة والعقل، وفي هذا الصّدد يمكننا القول: إنّ شوبنهاور قد نزع القدسيّة عن العقل وميتافيزيقاه ليقول: إنّ الإرادة هي الّتي تتربّع على عرش الوجود والوجود الإنسانيّ وليس العقل، الّذي شكّل على الدوام جوهر الإنسان، فالعقل**(في حدّ ذاته ليس لديه شيءٌ سوى الصّور الفارغة الّتي يباشر بها عمله، وليس هناك على الإطلاق أيّ معرفةٍ عقليّةٍ خالصةٍ بشكلٍ تامٍّ سوى المبادئ الأربعة)**[17]، بمعنى أنّ العقل ليس المحرّك للإنسان بل وراء هذا العقل قوّةٌ شعوريّةٌ ولا

---

[13]- كامل، فؤاد: الفرد في فلسفة شوبنهاور، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، 1991، ص: 16 بتصرف.

[14]- غريزي، وفيق: مرجع سابق، ص: 87 بتصرف.

[15]- شوبنهاور، آرتور: العالم إرادة وتمثلًا، مصدر سابق، ص: 57.

[16]- شوبنهاور، آرتور: العالم إرادة وتمثلًا، مصدر سابق، ص: 127؛ انظر أيضًا: وفيق غريزي، ص: 67 بتصرف.

[17]- شوبنهاور، آرتور: العالم إرادة وتمثلًا، مصدر سابق، ص: 123.

شعوريّةٌ، قوّةٌ حيّةٌ، رغبةٌ مستمرّةٌ، وهذه القوّة هي الإرادة، وما العقل إلّا من خلق الإرادة وتابعٌ لها في حين الإرادة هي الأصل[18].

ولكن كيف؟ ولماذا؟ وبأيّ معنى؟ إنّنا بحسب ما يمكننا أن نستشفّه من فلسفة شوبنهاور، لا نرغب في فعل هذا الشّيء أو ذاك الشّيء؛ لأنّنا نعقل ذلك ونفكّر به عقليًّا، بل لأنّ الإرادة هي الّتي تحفّزنا على الرّغبة، والعقل هو الّذي يعطينا المبرّرات لذلك[19]، ولكن لماذا لا يعني لشوبنهاور العقل –الّذي يمثّل جوهر بعض الفلسفات– إلّا تبعيّةً للإرادة؟ ما مبرّراته لذلك؟ لتوضيح الإجابة عن هذا السّؤال يقدّم لنا شوبنهاور هنا وفي هذا المقام مقارنةً طويلةً بين العقل والإرادة، مفاد هذه المقارنة: هي أنّ *العقل يتعب في حين الإرادة لا تعرف للتّعب معنىً، وبأنّ العقل بحاجةٌ للنّوم في حين الإرادة تواصل نشاطها حتّى في أثناء النّوم، وبأنّ العقل يحتاج لغذاء النّوم بشكلٍ ضروريٍّ في حين الإرادة لا تحتاج إلى التّغذية إطلاقًا*[20]، وبذلك يكون شوبنهاور قد عزّز من قدرة الإرادة ليبيّن لنا أنّنا يجب ألّا نعوّل كثيرًا على العقل في مقابل ما تؤدّيه الإرادة من فعلٍ جوهريٍّ في العالم.

بعد أن بيّنا طبيعة المعرفة الّتي نتمثّل بها الإرادة، وكذلك عرضنا مبرّرات شوبنهاور لعدِّهِ العقل مجرّد خادمٍ للإرادة، كان لا بدّ من الخوض بمفهوم الجسد ودوره ليس فقط بوصفه تمثّلًا للذّات العارفة بل بوصفه إرادةً، وسؤالنا الّذي يطرح نفسه: ما علاقة الجسد بالإرادة؟ وهل من علاقةٍ أصلًا تربط بين الجسد والإرادة؟ للإجابة عن هذه التّساؤلات، علينا بدايةً أن نكون قادرين على إدراك أنّ جسمنا ليس مجرّد موضوعٍ من موضوعات العالم، أو مجرّد شيءٍ من أشياء العالم أو لنقل: إنّ جسمنا هو مجرّد جسمٍ كباقي أجسام الآخرين، بل الجسم وفق فهمنا هو تلك العلاقة الخاصّة الّتي بها يرتبط هذا الجسد بالذّات، هذه الذّات الّتي تتمثّل تجليّات الإرادة[21] في جسدها من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ، فهذه الإرادة تربط الذّات بعلاقةٍ تمثليّةٍ مع العالم، وفي هذا الصّدد يقول شوبنهاور: **(إنّ جسمي وإرادتي هما شيءٌ واحدٌ، أو نقول: إنّ ما أسمّيه جسمي بوصفه تمثّلًا للإدراك**

---

[18]– كامل، فؤاد: الفرد في فلسفة شوبنهاور، مرجع سابق، ص: 44.

[19]– سوندرز، بيلي: فن الأدب–مختارات من شوبنهاور، ترجمة شفيق مقار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012، ص: 35.

[20]– أمين، أحمد؛ وزكي، نجيب محمود: قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص: 268 بتصرف؛ انظر أيضًا: غريزي، وفيق: مرجع سابق، ص: 114.

[21]– Christopher, Ronald Trogan: Suicide and Freedom from Suffering in Schopenhauer-Die Wille und Vorstellung, Vol(III), No(1), 2013,S: 6.

العيانيّ، هو ما أسمّيه إرادتي ما دمت كنت واعيًا بها على نحوٍ مختلفٍ تمامًا لا يقارن بأيّ نحوٍ آخر، أو لنقل: إنّ جسمي يظلّ بمنزلة إرادتي ما دمت كنت أنظر إليه بمنأىً عن كونه موضوعًا لتمثّلي، وهكذا)[22]، بمعنى أنّ شوبنهاور يريد القول: إنّ الجسم ثمرةٌ أنتجتها الإرادة، والجسم هو الإرادة وقد تجسّدت، **(ولذلك فإن أجزاء الجسم لا بدَّ أن تناظر تمامًا الحاجات والرغبات الأساسية.... ، فالأسنان والبلعوم والأمعاء هي جوعٌ متجسّدٌ، وأعضاء التّناسل هي دافعيّةٌ جنسيّةٌ متجسّدةٌ)**[23].

لعلّ أوضح علاقة يمكن أن تتّضح بها العلاقة بين الإرادة والجسد هي عواطفنا أو لنسمّيها رغباتنا وفق تعبير شوبنهاور، ولكن أيّ رغبةٍ تلك الّتي يقصدها شوبنهاور؟ إنّها دون شكٍّ إرادة النّسل، لأنّ الموت هو دومًا من يقهر إرادة الحياة، ولكن هل نفهم من ذلك أنّ أيّ موتٍ هو قادرٌ على قهر إرادة الحياة؟ بمعنى هل الانتحار على سبيل المثال، بوصفه يمثّل شكلًا من أشكال الموت يمكننا أن نتّخذه مسلكًا نسلكه لنقاوم هذه الإرادة؟ إنّ الإجابة ستكون قطعًا بالنّفي لأنّ الانتحار ليس إلا إنهاءً لحياة فرد، ومن ثمَّ فإنّ حياة النّوع ستستمرّ بعد انتحار وموت هذا الفرد، الّذي لن يؤثّر في موته فيها بشيءٍ، فالحياة ستكون مستمرّةً فيه ومن دونه، ولذلك لا يعوّل شوبنهاور كثيرًا على فكرة الانتحار، لأنّه يرى أنّ إرادة الحياة الّتي تمثّل إرادة النّسل المستمرّة هي فقط من يقدر على هزيمة الموت، ولذلك تعمّد شوبنهاور ألّا يضع هذه الإرادة – إرادة النّسل- تحت رقابة العقل[24] أو المعرفة والتّأمّل فهو يقول: **(التّناسل هو منتهى هذا المسار، وعندما يتمّ بلوغه، فإنّ الفرد الأوّل يذوي بسرعةٍ أو ببطءٍ، في حين تولد حياةٌ جديدةٌ تكفل للطّبيعة حفظ النّوع وتكرّر الظّاهرة نفسها، والحقيقة أنّ التّجدد المتواصل في مادّة كلّ كيانٍ عضويٍّ حيٍّ، يمكن أيضًا النّظر إليه على أنّه مجرّد تجلٍّ لهذا الدّفع والتّبدّل المتواصل)**[25].

السّؤال الّذي نتقدّم في طرحه الآن: هل الإرادة الّتي تمثّل الشّيء في ذاته والّتي لها ما لها من الصّفات وما تملكه من قوّةٍ للوجود، يمكن أن نطلق عليها صفة إرادة الحياة القوّية؟ يجيب شوبنهاور عن ذلك بالقول: **(إذا أدرجنا مفهوم الإرادة تحت مفهوم القوّة...فإنّنا بذلك نتخلّى عن المعرفة** المباشرة **الوحيدة الّتي تكون لدينا عن الماهيّة الباطنيّة للعالم؛**

---

[22]- شوبنهاور، آرتور: العالم إرادة وتمثل، مصدر سابق، ص: 198.

[23]- شوبنهاور، آرتور: العالم إرادة وتمثل، مصدر سابق، ص: 206؛ انظر أيضًا: أمين، أحمد؛ وزكي، نجيب محمود: قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص: 268.

[24]- غريزي، وفيق: مرجع سابق، ص: 125.

[25]- شوبنهاور، آرتور: العالم إرادة وتمثل، مصدر سابق، ص: 285.

إذ إنّنا بذلك نجعل هذه المعرفة تتوارى في مفهومٍ مستخلصٍ بالتّجريد من الظّاهرة)[26]، بمعنىً آخر: يريد شوبنهاور القول: إنّ القوّة هي مجرّد تمثّلٍ للإرادة، وأنّ الإرادة الّتي هي الشّيء في ذاته، والّتي هي أصل الوجود عند شوبنهاور هي شيءٌ مختلفٌ تمامًا عن هذا التّمثّل، ولا يمكننا أن نجعل التّمثّلات تتمادى لتحلّ مكان الأصل الّذي هو الإرادة، فالفرق كبيرٌ بين الإرادة كأصلٍ وجوهرٍ وبين تمثّل الإرادة كعرضٍ.

نصل الآن بعد أن وضّحنا الطبيعة الأصيلة لجوهر الوجود الشّوبنهاوري إلى السّبل الّتي يمكننا من خلالها أن نتجاوز القيود الّذي تقيّدنا بها هذه الإرادة، فما تلك السّبل وتلك القيود الّتي تجعلنا نتحرّر من الغرق والاستسلام للإرادة؟

ب- سبل الخلاص من أسر إرادة الحياة عند شوبنهاور:

نظرًا إلى أنّ الذات تنشد دومًا نحو حريّتها العليا، فلا بدّ إذًا من السّعي للتحرّر من قيدها، وعلى اعتبار أنّ الإنسان لن يكون قادرًا على الدّوام أن يكون فقط مجرّد خادمٍ مطيعٍ لهذه الإرادة، فلا بدّ له من أن ينتفض وينطلق لتحقيق أصالته وإبداعه، ولكن كيف؟ ما التّأمّلات المفتوحة الّتي يقترحها شوبنهاور للتحرّر من قيد الإرادة؟ قبل أن نقدم على تقديم إجابةٍ عن هذا السّؤال لا بدّ من التّنويه بالقول: إنَّ شوبنهاور عندما وصل إلى مرحلة الكهولة تغيّرت طريقته في التّفكير فلم يعد يرى في الإرادة الهاجس الدّائم المستمرّ الّذي يحكم العالم، بل أصبح يؤكّد ضرورة مواجهة هذه الإرادة الشّريرة الّتي تحكم العالم بسبلٍ اختطّها بيده في المرحلة الأخيرة من عمره، فما هذه السّبل الّتي أطلق لها شوبنهاور العنان؟ *إنهاّ الفلسفة قبل كلّ شيءٍ ذلك التّأمّل الخالص الّذي تؤدي فيه تجربتنا دورًا كبيرًا*،[27] **(إنّنا في اللّحظة الّتي نتحرّر فيها من الإرادة نسلم أنفسنا إلى معرفةٍ خالصةٍ خاليةٍ من الإرادة)**[28]، فهي تأمّلٌ سامٍ عميقٌ للوجود، وعلى اعتبار أنّ شوبنهاور في ريعان شبابه قد أكّد كثيرًا دور الإرادة في مواجهة العقل، فإنّه في هذه المرحلة المتقدّمة من العمر قد مايز بين أن تكون الإرادة هي الّتي تحكم الفرد على حساب أيّ شيءٍ وبين أن يكون العقل هو الغالب على هذه الإرادة، فعندما نُخضع الأشياء لعقولنا نتحرّر من قيد الأهواء والمصالح الشّخصيّة، ونرى الأشياء بمنظار ذاتها وبنظرةٍ موضوعيّةٍ متساميةٍ[29]، تتنكّر للإرادة وتقضي عليها، وهنا تتجلّى العبقريّة، فما العبقريّة

---

[26]- شوبنهاور، آرتور: العالم إرادة وتمثل، مصدر سابق، ص: 211.

[27]- أمين، أحمد؛ وزكي، نجيب محمود: قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص: 284-288 بتصرف.

[28]- توفيق، سعيد محمد: ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص: 82.

[29]- غريزي، وفيق: مرجع سابق، ص: 149.

الّتي ينشدها شوبنهاور؟ إنّها تمثّلٌ لجوهر الطّفولة، فكلّ عبقريٍّ برأي شوبنهاور ليس إلّا طفلًا بصورةٍ ما من الصور[30]، فهو يصف هذا العبقريّ بالقول: **(كلّ ما يبدعه العبقريّ من عملٍ فنيٍّ أو شعريٍّ أو فلسفيٍّ ليس إلّا نتيجةً أو خلاصةً جوهريّةً لذلك الموقف التّأمّليّ)**[31]. فالعبقريّة هي مكنونٌ إبداعيٌّ تظهر أصالته في الفنّ والشّعر والتّأمّل. أمّا الزهد فهو السبيل الجديد الذي أضافه شوبنهاور إلى سبله الّتي رآها كفيلةً في التّغلّب على هذه الإرادة بعد أن منحنا قبلها سبيلي الفلسفة التّأمليّة والعبقريّة، حيث الزّهد هنا هو بالمعنى الشّوبنهاوري الحدسيّ، الّذي يقوم على تجربة الذّات الشخصيّة **(عندما يتمّ القضاء على الأنا الفرديّة، تصبح الذّات العارفة الخالصة في هويّةٍ واحدةٍ مع الأشياء أو الموضوعات، وتستغرق فيها في وحدةٍ صوفيّةٍ)**[32]، الّتي رأى بذورها في الفيدا الهندية البوذيّة، *الّتي لا تقوم لا على العقل ولا على الحسّ بل على الحدس والشّعور والبصيرة، إنّها النيرفانا ذلك السّلام الدّاخلي حيث إماتة الملذّات والشّهوات*[33]*. أمّا الفن والموسيقا فهما يمثّلان ذلك السّلام الّذي يتجلّى في أوضح صورةٍ له، عندما تتّحد الذّات مع تمثّلها وموضوعها لتحقيق رؤيةٍ ميتافيزيقيّةٍ كاملةٍ للعالم، تبدو كنظرة عيانيّةٍ ووجدانٍ خالصٍ منزّه عن الغايات كلّها، حيث يغوص الإنسان في أعماق نفسه*[34] ويترفّع على إرادته بالمعنى الشّوبنهاوريّ، وهنا لا بدّ من ذكر ما يقوله شوبنهاور عن الفنّ بأنّه **(طريقة النّظر إلى الأمور على نحوٍ مستقلٍّ عن مبدأ السّبب الكافي)**[35]، وخصوصًا بالموسيقا[36]، ذلك النّوع من الفنّ، الّذي يتمّ في الزّمان وبغض نظرٍ عن أيّ مكانٍ، حيث دومًا الإبداع بعيدًا عن التّقليد والاجترار.

وصلنا الآن إلى نتيجةٍ مفادها أنّ إرادة الحياة عند شوبنهاور هي إرادةٌ عمياءٌ، تقوم على الرّغبات الذّاتوية، وهي إرادةٌ مرتبطةٌ بالجسد والمعرفة لكنّها متمايزة عن العقل، وهذه الإرادة قد ملأت العالم شرًا وعكست برأي كُثرٍ ممّن قرؤوا فلسفة شوبنهاور، تلك النّظرة

---

[30]- غريزي، وفيق: مرجع سابق، ص: 163.

[31]- سوندرز، بيلي: فن الأدب-مختارات من شوبنهاور، ترجمة: شفيق مقار، مرجع سابق، ص: 200.

[32]- توفيق، سعيد محمد: ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور، مرجع سابق، ص: 82.

[33]- بدوي، عبد الرحمن: خلاصة الفكر الأوروبي-شوبنهاور، مرجع سابق، ص: 282. انظر أيضًا: أمين، أحمد؛ وزكي، نجيب محمود: قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص: 294-295 بتصرف.

[34]- بدوي، عبد الرحمن: خلاصة الفكر الأوروبي-شوبنهاور، مرجع سابق، ص: 122-123-124 بتصرف.

[35]- شوبنهاور، آرتور: العالم إرادة وتمثل، ترجمة: فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، 1994، ص: 25.

[36]- غريزي، وفيق: مرجع سابق، ص: 206؛ انظر أيضًا: زكريا، فؤاد: العالم إرادة وتمثل، مصدر سابق، ص: 26.

الميتافيزيقيّة السّوداويّة للحياة، وقدّمنا بعد ذلك للسّبل الّتي فتح بها شوبنهاور للذّات أن تتحرّر من قيدها فرصدنا دور حالة العبقريّة والفلسفة والتّأمّل الفلسفيّ العميق الّذي نال ما ناله من حظوةٍ في فلسفة شوبنهاور الميتافيزيقيّة، بعد ذلك تطرقنا لسبيل الدّين والزّهد كحالةٍ تعكس مدى المجال الأخلاقيّ الّذي طرق بابه شوبنهاور في المرحلة الثّانية من حياته، وأخيرًا قدّمنا للسّبل الجماليّة الأخرى الّتي تجلّت في الفنّ، والموسيقا، والتي فتحت أفقًا جديدًا في الخلاص من قيد هذه الإرادة.

سؤالنا الّذي يطرح نفسه الآن بإلحاحٍ: إلى أيّ مدىً ستتبدّى إرادة القوّة النّيتشويّة وقوّة حجّتها في التّعارض مع وجهة النّظر الشّوبنهاوريّة؟ هل سيوافق نيتشه شوبنهاور فيما عرضه في فلسفته كلّه؟ كيف ستتبلور إرادة القوّة في فلسفة نيتشه؟ وما مفرداتها الّتي قد ترتبط أو تنفلت عنها؟ هذا كلّه سيكون محور السّؤال الأساسيّ الّذي تبنّيناه في عنوان بحثنا، لنتمكّن بعد عرض ذلك من استخلاص النّتائج الرّئيسة الّتي تبيّن مدى القطيعة أو التّكامل بين فلسفتي شوبنهاور ونيتشه؛ على الأقلّ في المفهوم الرّئيس الّذي عرضنا له منذ البداية.

ثانيًا: الإرادة عند نيتشه كإرادة قوة:

لابدّ من القول: إنّ معرفة نيتشه بشوبنهاور كانت من خلال قراءته لمؤلفه الرّئيس: العالم إرادةٌ وتمثّلٌ، مصادفة، في دار كتبٍ لبيع الكتب القديمة، وعندما انتهى نيتشه من قراءة الكتاب، كتب نيتشه في مدوّنته الخاصّة عن كتاب شوبنهاور **(كأنّ الكتاب مكتوبٌ لي)**[37]، بمعنى أنّ الكتاب كان بالنّسبة إلى نيتشه بمنزلة فاتحةٍ فكريّةٍ وجماليّةٍ لتصوّراته عن العالم، إذ بقي محبًّا لشوبنهاور وأمينًا على أفكاره، ولذلك مثّل له المعلّم والمربّي الوحيد، ورجل المهمّات الّذي يمكنه التّفاخر به[38]، فقد أعجب نيتشه بمؤلّف شوبنهاور أشدّ الإعجاب لأنّ شوبنهاور كان قد وقف فيه موقفًا شبيهًا وقريبًا من رؤية نيتشه للعقل –على الأقلّ– في المرحلة الفكريّة الفنيّة الأولى من حياة نيتشه، إذ إنَّ كليهما لم يشدّدا على أهميّة العقل في مقابل ما طرحاه من قوىً أخرى أساسيّةٍ وجوهريّةٍ يمتلكها الإنسان كالحسّ والجسد والغريزة والحدس، فليس بالعقل وحده يحيا الإنسان.

انطلق نيتشه من فلسفة شوبنهاور ومن الفارق بين الشّيء في ذاته والمظهر، وبين الإرادة والتّمثّل[39]، عندما كان واقعًا تحت تأثيره في المرحلة الفنيّة الرّومانتيكيّة من حياته، إلّا أنّ نيتشه لم يتأثّر بوسائل الخلاص الدّينيّة الأخلاقيّة الّتي طرحها شوبنهاور، وإنّما

[37]– نيتشه، فريدرش: شوبنهاور مربيًا، ترجمة: قحطان جاسم، منشورات الاختلاف، ط1، العراق، 2016، ص: 8.

[38]– نيتشه، فريدرش: شوبنهاور مربيًا، مصدر سابق، ص: 22.

[39]– فنك، أويغن: فلسفة نيتشه، ترجمة: الياس بديوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1974، ص: 23.

تأثّر في موضوعة الفنّ بالذّات، تلك الموضوعة الّتي أراد نيتشه أن يفسّر من خلالها وعلى أساسها[40] العالم، لكن ذلك يجب ألّا أن يحيلنا إلى أن نفهم أنّ نيتشه بقي على الدّوام تحت تأثير شوبنهاور، فقد مثّل هذا مجرّد مرحلةٍ من مراحل حياة نيتشه، فبقي التلميذ نيتشه يكنّ الودّ والاحترام لمعلّمه شوبنهاور، لكنّه خالفه في كثيرٍ من الآراء الفلسفيّة، وأهمّها فكرة إرادة الحياة وما ارتبطت به هذه الفكرة من تشعّبات.

فقد *ورث نيتشه عن شوبنهاور فكرة الإرادة وتمجيد الغريزة لكنّه خالفه في تصوّره للحياة على أنّها ألمٌ*[41]، لأنّ فلسفة نيتشه تكمن في شجاعتها الّتي تتقبّل وترضى الألم في الحياة ولا تسعى للخلاص منها كما فعل شوبنهاور، بل فلسفته تحبّ الحياة والعودة للحياة مرّاتٍ ومرّاتٍ رغم كلّ الآلام الّتي تعانيها ورغم الموت، *فنيتشه مؤثّر بذلك للوجود والحياة على العدم الشّوبنهاوري*[42]، وما عودة ديونيزوس في الرّبيع إلّا تبشيرٌ بعودة الحياة وتجدّدها، وتأكيدٌ لصيرورتها الأبديّة.

اكتشف نيتشه مبدأ القوّة الّذي أضافه إلى فكرة الإرادة من أمرين مهّين: أولهما الحرب البروسيّة الفرنسيّة بين عامي 1870-1871 الّتي كان من نتيجتها تأسيس الإمبراطورية الألمانيّة، وثانيهما التّجربة الفكريّة الفلسفيّة الألمانيّة النّقديّة الّتي عُدَّت منهلًا مهمًّا في الفكر الفلسفي متمثّلةً ب كانط (1724-1804)، وهيغل(1770-1831)، وماركس(1818-1883)، وغيرهم. إلّا أنّه من المهمّ أن نذكر في هذا السّياق أنّ نيتشه لم يتأثّر بنظريّة دارون[43] كما تمّ الترويج لفلسفته، فهذا اللّبس في ربط مفهوم إرادة القوة بنظريّة داروين ليس إلّا سوء فهمٍ وتأويلٍ مغلوط فيه علينا الخروج منه، وذلك لأنّ موقف نيتشه واضحٌ وصريحٌ فيما يخصّ هذه المقولة في كتابه أفول الأصنام، فنيتشه يعدُّ مقولة داروين في الصّراع من أجل البقاء بأنّها فكرةٌ قاصرةٌ وهزيلةٌ وزائفةٌ لأنّ هذه النّظريّة يمكن أن تحدث إلّا أنّ هذا لا يعدو مجرّد استثناءٍ[44]، فالصّراع الّذي ينشده نيتشه هو صراعٌ من أجل القوّة وليس صراعًا من أجل البقاء، والفرق كبيرٌ بين المعنيين حين نغوص بعمقٍ لفهم مقاصد نيتشه.

---

[40] زكريا، فؤاد: نوابغ الفكر الغربي-نيتشه، ط2، دار المعارف، مصر، 1966، ص: 44.

[41] غريزي، وفيق: مصدر سابق، ص: 45 بتصرف.

[42] غريزي، وفيق: مرجع سابق، ص: 46 بتصرف.

[43] تشارلز دارون هو عالم أحياء وجيولوجي بريطاني (1882/1809)، له مؤلفات عدّة في أصل الأنواع ونظرية التطور.

[44] نيتشه، فريدرش: أفول الأصنام، ترجمة: حسان بورقية ومحمد الناجي، ط1، إفريقية الشرق، 1996، ص: 90؛ انظر أيضًا: جعفر، صفاء عبد السلام علي: محاولة جديدة لقراءة فريدرش نيتشة، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص: 278.

بعد أن عرفنا من أين استقى نيتشه مصادر فكرته عن إرادة القوّة، كان لا بدّ لنا من تعيين ما يعنيه نيتشه بمفهومه الفلسفيّ عن إرادة القوة وفق ما نستقرأه من نصوصه الفلسفيّة، فإرادة القوّة هي موضوع الفلسفة النّيتشويّة الّتي قدّم لها هذا الفيلسوف في مؤلّفه الكبير (هكذا تكلم زرادشت) بامتيازٍ، لأنّ هذه الإرادة تمثّل طاقةً خلّاقةً وإبداعيّةً[45]، *إنّها مسيرةٌ تخوضها الذّات لتجاوز ذاتها بهدف امتلاك المزيد من وسائل الإبداع، وما دام وعلى اعتبار أنّ الذّات تخوض كثيرًا لتحقيق ذاتها فهي لا بدّ بحاجةٍ إلى من يشكّل قوّةً ضدّها*[46]، وبذلك يظهر لنا [إن أمكن لنا الاجتهاد في تأويل إرادة القوة النّيتشوية] نموذجان يمثّلان نمطين من أنماط الإرادة: نمط إرادة الأقوياء (السّادة)، تلك الإرادة الّتي يبدعها الأقوياء، الّذين يدركون تمامًا أنّ لهم الحقّ في أن يحدّدوا خيرهم وشرّهم، والّذين يمثّلون الإرادة الفاعلة البنّاءة القويّة القادرة على تحقيق ما تريد، ومن ثمَّ هم نموذجٌ للحياة الصّاعدة، وبمقابل ذلك يوجد نمطُ إرادة الضّعفاء (العبيد)، الّذين يعبرون عن الكيفيّة الّتي يفهمون بها الإرادة، *فهم يمثّلون الإرادة السّلبيّة الهدّامة الضّعيفة والارتكاسيّة، والّذين يخنقون إرادة القوّة، ويعدّون أنّ كلّ قوّةٍ وعملٍ إبداعيٍّ يصدر عن الإرادة القويّة الذّاتية المبدعة ليس إلا خطيئةً وذنبًا*[47].

فإرادة القوة عند نيتشه ما هي إلّا تسامٍ للذّات وتمجيدٍ للحياة في حين إرادة الضعفاء ليست إلّا تفتيشًا عن تقهقر الحياة وتدميرها كما يقول جان غرانييه[48]. وعلى اعتبار أنّ إرادة القوّة هي وحدها من يحدّد رسالة الإنسان السّامية، فلا بدَّ أنّها ملاقيةٌ للتّنازع وللمقاومة ومن ثمَّ للألم، ولكن ليس الألم بالمعنى الضّعيف السّلبي، الّذي نسعى للخلاص منه عن طريق التّخلّص من الحياة كما فعل شوبنهاور، بل الألم النّيتشوي، هو بالمعنى الّذي يرى أنْ لا ولادةً جديدةً ولا أصالةً للحياة من دون ألمٍ، *ولذلك سيكون الألم واللّذة والسّعادة وفق مفهوم نيتشه في ذبذبةٍ ومقاومةٍ دائمةٍ*[49]، فلا لذّة من دون ألمٍ ولا ألمٍ

---

[45]- عبد اللطيف، نبيل: فلسفة القيم–نماذج نيتشوية، التنوير للطباعة والنشر، توزيع دارالفارابي، بيروت، ص: 64.

[46]- مونتيبيلو، بيير: نيتشه وإرادة القوة، ترجمة: جمال مفرج، ط1، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، 2010، ص: 102–103 بتصرف.

[47]- شتاينر، رودولف: نيتشه مكافحًا ضد عصره، ترجمة: حسن صقر، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، 1998، ص: 114/100 بتصرف. انظر أيضًا: ستيبان، أوديف: على دروب زرادشت، ط1، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، 1983، ص: 64؛ أيضًا أندلسي، محمد: نيتشه وسياسة الفلسفة، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 2006، ص: 168.

[48]- غرانيية، جان: نيتشه، ترجمة: علي بو ملحم، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2008، ص: 119 بتصرف.

[49]- بدوي، عبد الرحمن: خلاصة الفكر الأوروبي– نيتشه، ط5، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975، ص: 219–220 بتصرف.

من دون لذّةٍ، على النّقيض من شوبنهاور الّذي يرى انتفاء أحدهما على حساب الأخرى، بمعنى أنّ اللّذة لن تكون إلّا بزوال الألم، والألم لن يكون إلّا بزوال اللّذة. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما العوائق والقيود التي تقف في وجه إرادة القوة؟

إنّ الموت هو دومًا من يقهر إرادة الحياة الشّوبنهاوريّة، وإرادة الحياة الّتي تمثّل إرادة النّسل المستمرّة هي فقط من يقدر على هزيمة الموت، لأنّها تمثّل استمرارًا للحياة والنّوع البشريّ، وسؤالنا الآن الّذي يطرح نفسه: ما الّذي يقف حقًّا في وجه إرادة القوّة؟ ما العائق الّذي يقيد قوتها؟ وهل من عائقٍ حقًّا قادرٌ على أن يقف في وجه هذه الإرادة؟ يجيبنا نيتشه بالقول: إنّه نعم هناك من عائقٍ يقف في وجه هذه الإرادة ، ولكن ما هو هذا العائق؟ إنّه الزّمن!! **(انظر إلى هذا الباب فإنّ له واجهتين، وهنا ملتقى مسلكين لم يبلغ إنسانٌ أقصاهما، أحدهما منحدرٌ يمتدّ إلى أبديّةٌ، والآخر مرتفعٌ يمتدّ إلى أبديّةٍ أخرى، المسلكان يتعارضان متقاطعين عند هذا الباب، وقد كتب اسمه على رتاجٍ واحد "الحين")**[50].

فإرادة القوّة النّيتشوية هي تثبيت الحياة في الزّمن[51]، فالوجود في الزّمان هو سبيل إرادة القوّة لتحقيق إمكانياتها وخصوصًا من ناحية المستقبل، لأنّ الماضي مضى وانتهى ولسنا بقادرين على إعادته، فالإرادة لا يمكنها العودة إلى الخلف فكلّ ما نقدر ونعوّل عليه هو المستقبل الحامل للإمكانات المفتوحة كلّها[52]، على اعتبار أنّ الحياة عند نيتشه هي عودٌ أبديٌّ[53] وصيرورةٌ تكرّر نفسها باستمرارٍ **(سأعود أبدًا إلى هذه الحياة بعينها إجمالًا وتفصيلًا فأقول أيضًا بعودة جميع الأشياء تكرارًا وأبدًا)**[54]، بينما الإرادة كما قلنا سابقًا عند شوبنهاور لا يمكن قهرها إلّا بالموت، وشتّان بين من ينادي بقهر الحياة، بموتها والخلاص منها، وبين من يسعى لتأكيد إمكانيات الفرد وتحقّقها في الحياة من ناحية المستقبل. ولكن ما الّذي تحتاجه إرادة القوّة النّيتشويّة لتحقيق إمكانياتها؟ إنّ الإجابة عن هذا السّؤال تقودنا للبحث في علاقة إرادة القوّة بكلٍّ من الحياة، العقل والجسد، فما العلاقة الّتي تربط هذه المفاهيم ببعضها؟ وهل من علاقةٍ أصلًا بينها؟

---

[50]- نيتشه، فريدرش: هكذا تكلم زرادشت، ترجمة: فليكس فارس، المكتبة الثقافية، دط، بيروت، دت، ص: 183.

[51]- دولوز، جيل: نيتشه والفلسفة، ترجمة: أسامة الحاج، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993، ص: 67.

[52]- فنك، أويغن: فلسفة نيتشة، مرجع سابق، ص: 97.

[53]- فارس، فليكس: مصدر سابق، ص: 249؛ تعدُّ نظرية العود الأبدي النيتشوية رؤيةً فلسفيةً للحياة على اعتبار أنها تكرر نفسها وتجعلنا نعود تكرارًا وأبدًا فكل شيءٍ يموت، وكل شيءٍ يعود، ودوائر الوجود في صيرورةٍ دائمةٍ لا نهاية لها.

[54]- فارس، فليكس: مصدر سابق، ص: 252.

آ- الإرادة وعلاقتها بالحياة والعقل والجسد:

إنّ السّؤال الّذي يطرح نفسه الآن: ما الرّابط بين إرادة القوة والحياة؟ وهل من رابطٍ أصلًا يربط بينهما؟ سنتقدّم قبل الإجابة عن هذا السؤال بقول نيتشه: **(لا إرادة إلّا حيث تتجلّى حياة، ومع هذا فإنّ ماأدعوا إليه إن هو إلّا إرادة القوّة لا إرادة الحياة)**[55]، فما نفهمه من قول نيتشه هذا أنّ من يخلق ويبدع في هذه الحياة فإنّه يتّخذ موقفًا أصيلًا تجاه هذه الحياة، وهذا الموقف يتجلّى في كونه يمتلك إرادةً قويّةً في هذه الحياة، لكن لماذا رفض نيتشه نظريّة شوبنهاور في إرادة الحياة، وهو من يؤكّد مفهوم الحياة؟

انتقد نيتشه نظريّة شوبنهاور في الحياة، لأنّها مثّلت له مجرّد نظريّة شرٍّ مطلقٍ، انعكست على الحياة برؤيةٍ تشاؤميّةٍ، فشوبنهاور قال أنّ العالم أصله وجوهره الإرادة، الّتي تدفع الإنسان لرغباتٍ متجدّدةٍ باستمرارٍ، لأنّه لا يوجد شيءٌ خارجها حتّى يشبعها، لذلك تبقى هذه الإرادة وفق نيتشه متعطّشة دومًا للمزيد، فكان الحل والخلاص الّذي قدّمه شوبنهاور للقضاء على هذا التّعطّش النّهم بالقضاء على إرادة الحياة وبقهرها بالموت، وهذا ما جعل فلسفته توسم بأنّها فلسفةٌ متناقضةٌ، فهو ينادي بإرادة الحياة من جهةٍ ولكنّه من جهةٍ ثانيةٍ يقول أنّه لا بدّ من الخلاص من هذه الإرادة، وكما رأينا فقد قدّم سبلًا وطرائقَ للخلاص من قيد هذه الإرادة، *فشوبنهاور برأي نيتشه كان على حقٍّ عندما قال أنّ الحياة إرادةٌ، لكنّه حادَ عن الصّواب حين قال أنّ إرادة الحياة هي نفسها إرادة الوجود، لأنّ إرادة الوجود لا وجود لها*[56] فكيف تكون قادرةً على الإرادة؟ بينما إرادة القوّة عند نيتشه هي جهدٌ للسّيطرة والانتصار على من يقف في وجهها في الحياة **(يبحث الإنسان من خلال إرادته كلها عن المقاومة، فهو في حاجة لأن يقف في وجهه شيء ما...)**[57]. ولكن ما الّذي تحتاجه إرادة القوّة لتحقّق إمكانياتها؟ إنّها بحاجةٍ ماسّةٍ للجسد المنيع، المبدع، الّذي يعدُّه نيتشه أهمّ من القوى العاقلة إذ يقول: **(لقد آن لكم أن تقولوا ما تهمّني القوى العاقلة فيّ)**[58]، وكأنّنا نشهد هنا حالة اتفاقٍ بين شوبنهاور و نيتشه فيما يخصّ تأكيدهما دور الجسد وأهميّته في تحقيق إرادة كلٍّ منهما، فكلاهما عدًّا العقل مجرّد خادمٍ للجسد، فهو تمثّلٌ وفق رؤية شوبنهاور، في حين وفق نيتشه الجسد هو ميدان

---

[55]- نيتشه، فريدرش: هكذا تكلم زرادشت، ترجمة: فليكس فارس، مصدر سابق، ص: 144.

[56]- بدوي، عبد الرحمن: خلاصة الفكر الأوروبي- نيتشه، مرجع سابق، ص: 225/221 بتصرف.

[57]- نيتشه، فريدرش: إرادة القوة- محاولة لقلب كل القيم، ترجمة وتقديم: محمد الناجي، دط، دار إفريقية الشرق، المغرب، 2011، ص: 244.

[58]- نيتشه، فريدرش: هكذا تكلم زرادشت، مصدر سابق، ص: 34.

حربٍ وسلامٍ، وهو من **(أوجد العقل لخدمته كساعدٍ يتحرّك بإرادته)**[59]. إذًا ما نريد قوله هو أنّ الجسد يمثّل ظاهرةً رئيسةً ومهمة تجعلنا ندرك خطوط نيتشه الأصيلة الّتي يودّ تقديمها في بناءه لإرادة القوّة.

لكن هنا نتساءل: هل دور العقل هو دومًا سلبيٌّ بالمعنى المطلق لدى نيتشه؟ أما من دورٍ له؟ فكيف يدرك نيتشه علاقة الجسد بالعقل وبإرادة القوة؟ هل العقل متمايزٌ عن الجسد كما عند شوبنهاور أم لنيتشه رؤيةٌ أخرى؟ يمكننا الاجتهاد بالقول أنّ العقل عند نيتشه ليس مستقلًا عن الجسد فهو في صيرورةٍ معه **(يقول الطّفل أنا جسدٌ وروحٌ، فلماذا لا يتكلّم هؤلاء كالأطفال؟)**[60]، وعلى اعتبار أنّ العقل السّقراطيّ كان السّبب في حلّ اللّعنة على الحواس، وإهمال النّواحي الأخرى لتأويلات الوجود، لأنّ الثّقة المطلقة قد نالها العقل وحده فقط بوصفه الشّكل الوحيد والرمز المقدّس لتفسير كلّ شيءٍ في الدّين والفلسفة والمعرفة والأخلاق[61]، باعتبار أنّ اللّوغوس أي العقل أبولو هو رمز النّظام والتّرتيب واليقين ومطابقة الواقع، من هنا فقد أراد نيتشه أن يحطّم بمطرقته الجينالوجيّة هذه الأصنام كلّها الّتي رسخّها العقل في المجالات كلّها، الدّينية كمطلقاتٍ والأخلاقيّة كقيمٍ مسيحيّةٍ متجليّةٍ في التّهرّب من الحياة والأرض، والبحث دومًا عن العوالم الأخرى والمناداة بقيمٍ كالعدل والمساواة، فضلًا عن إقحامه بقوّةٍ في النّواحي كلّها العلميّة منها والفلسفيّة، وجرّ ما جرّه هذا من ثنائيّاتٍ لا تعدّ ولا تحصى، فنيتشه أراد أن يحطّم منظومة القيم الّتي قدّسها الإنسان في المجالات كلّها، بسلبيّاتها كلّها على مرّ تاريخ الفكر الإنسانيّ، ولعلّ التّهم الّتي وجهت له عندما انتقد الأخلاق المسيحيّة، لم تكن إلّا دليلًا على سوء الفهم الّذي تعرّض له، فمن ينقد الأخلاق يحمل كثيرًا من الأخلاق، لأنّ هناك فرقًا جليًا بين من يلغي الأخلاق والقيم ويدعو للعيش بلا أخلاقٍ، ومن ثمَّ يدعو للفوضى، وبين من يوجّه نقده للأخلاق لكي يوضّح أنّ الإنسان هو من أوجد منظومة القيم وفق مصالحه، ومن ثمَّ ليس هناك من مقدّسٍ ومطلقٍ بل ابتداعٌ من قبل الإنسان.

فكما أوجد الإنسان هذه القيم أوّل مرةٍ هو بقادرٌ [لا محالَ] على إيجادها مرّةً ثانيةً وثالثةً، فهذه القيم هي **(معاييرٌ صنعها الإنسان لهدفٍ معيّنٍ، وفي وسعه أن يبدّلها إذا**

---

[59]- نيتشه، فريدرش: هكذا تكلم زرادشت، مصدر سابق، ص: 58.

[60]- نيتشه، فريدرش: هكذا تكلم زرادشت، مصدر سابق، ص: 57.

[61]- Nietzsche, Friedrich: Jenseit von Gut und Böse, zur Genealogie der Moral, der Fall Wagner,Götzen-Dämmerung,der Antichrist, Werke, Band3/, Frankfurt/Main,u. a. 1972, das Problem des Sokrates,No(2), S: 397.

شاء أن يضع لنفسه هدفًا آخر)[62]، فنيتشه لم يقصد المسيحيّة كدينٍ، وهذا ما يجب أن يكون واضحًا لمن يقرأ نيتشه بعيدًا عن سوء الفهم وسوء الاستخدام، بل ما قصده هو توجيه النّقد لمنظومة القيم الأخلاقيّة المسيحيّة الّتي تنادي بشعارات المساواة والعدل والدّيمقراطيّة والشّفقة والغيريّة **(بدين الشفقة يدعون المسيحية.. الشفقة والرأفة هي في الجانب المضاد للانفعالات المحرضة التي ترفع طاقة الشعور الحيوي، وبهذا فإنَّها تنتج تأثيرًا مثبطًا)**[63]، وهذا النّقد الّذي وجّهه نيتشه لهذه المنظومة القيميّة يمكننا الآن أن نتفهّمه، فمن ينادي بالذّات الفرديّة المتميّزة بإرادتها القويّة، كيف يساوي بين الذّوات؟ وهل الذّوات كلّها أصلًا تملك إرادةً قويّةً،**(لا مساواة بين النّاس، وأنّه من الواجب ألّا يتساووا)**[64]. نحن ندرك تمامًا أنّ لكلّ ذاتٍ من الذّوات قدراتٍ وإمكانياتٍ وخصوصيّاتٍ تميّزها، عن غيرها من الذّوات، وهنا مكمن تفرّدها وعبقريّتها، فها هو يقول نيتشه: **(كيف يولد العقل القويّ؟ المسألة، في حالةٍ منفردةٍ، هي مسألة إبراز العبقريّة، من أين تأتي الطّاقة، القوّة المتينة، التّحمّل، الّتي بها يسعى الفرد، ضدّ تيار التّقليد، إلى اكتساب معرفةٍ بالعالم تكون شخصيّةً تمامًا؟)**[65]، ولعلّ هذا ما جعل نيتشه يطرق بمطرقته بكلّ جرأةٍ وحماسٍ ووضوحٍ باب هذه المطلقات كلّها لتبيان الوهم الّذي ألحقه بها الإنسان عبر تاريخ تفكيره، فقد زرع هذا الإنسان في نفسه دومًا الأوهام والظّنون بأنّه قد وجد كلّ القيم الّتي يتعامل معها في المجالات كلّها كما هي وعلى حالها من دون تدخّلٍ منه، وبأنّه ليس هو من أوجدها، وبأنّه ليس بقادرٍ على إيجاد القيم، فكان لا بدّ من تحطيم هذه المركزيّة للعقل أوّلًا من أجل فتح الأفق لرؤيةٍ شموليّةٍ عميقةٍ للوجود ولنظريّةٍ جديدةٍ في تأويل الوجود، فما هذه الرّؤية؟ وكيف تمثّلت؟

ب- السّبل الاستيطيقيّة لتأويل الحياة النّيتشويّة:

إنَّه الفن أولًا وقبل كل شيء، فقد أراد نيتشه دومًا تقديم رؤيةٍ جديدةٍ للحياة، مفادها أنّ الإنسان ليس دومًا بالعقل وحده يحيا، ومن ثمَّ فإنّه أراد البحث عن سبلٍ جديدةٍ عنوانها الرّئيس الفنّ **(لقد وضعت ظاهرة الفنّ في المركز)**[66]، ولكن لماذا الفنّ؟ لأنّ الفنّ اليونانيّ

---

[62]- زكريا، فؤاد: نوابغ الفكر الغربي- نيتشه، دار المعارف، مصر، 1966، ص: 56.

[63]- نيتشه، فريدرش: عدو المسيح، ترجمة: جورج ميخائيل ديب، ط2، دار الحوار، دت، ص: 30.

[64]- نيتشه، فريدرش: هكذا تكلم زرادشت، ترجمة: فليكس فارس، شذرة العناكب، ص: 128، انظر أيضًا: شذرة العلماء ص: 155.

[65]- نيتشه، فريدرش: انسان مفرط في انسانيته- كتاب العقول الحرة، ترجمة: محمد الناجي، إفريقية الشرق، بيروت، 2002، ص: 131.

[66]- فنك، أويغن: فلسفة نيتشة، مرجع سابق، ص: 15.

ممثّلًا بديونيزوس التّراجيديّ هو تجسيدٌ للصّراع الضّاري بينه وبين أبولو، اللّذين يمثّلان وجهين لعملةٍ واحدةٍ، فأبولو مكمّلٌ لديونيزوس[67]، ودنيونيزوس لا وجود له من دون أبولو، إذْ الفنّ وفق نيتشه هو الشّكل الأمثل لتبرير رعب الوجود وتقبّل صيرورته كما هو كألمٍ وموتٍ دون هروبٍ إلى العوالم الأخرى **(ظاهرة الفنّ في المركز، وفيها وانطلاقًا منها يتمّ الكشف عن حقيقة العالم)**[68].

فالفنّ هو تمثيلٌ للصّراع بين أبولو وديونيزوس، هذا الصّراع الّذي تعلوه الموسيقا، التي هي تعبيرٌ عن شعورنا الحسيّ غير الخاضعٍ لرقابة العقل والمنطق والقابع في الزمان بمنأىً عن المكان[69]، فالفنّ النّيتشويّ لن يكون سبيلًا للخلاص من الحياة كما تبدّى مع شوبنهاور، لأنّه ومع أنّ كليهما يتّفقان بالرّأي في دور وأهميّة الموسيقا، لكن مسار الاتفاق بينهما يتّخذ مساراتٍ مختلفةً، فشوبنهاور يدرك الموسيقا كنسخةٍ عن الإرادة ذاتها **(وهكذا فإنّ الموسيقا ليست- قطعًا كالفنون الأخرى نسخةً من المثل ولكنّها نسخةٌ من الإرادة ذاتها، الّتي تكون المثل هي موضوعيّتها)**[70]، فنيتشه و شوبنهاور قد اتّفقا على أنّ تأثير الموسيقا هو أعمق بكثيرٍ من تأثير باقي الفنون، إلّا أنّ كلًا منهما ينظر إلى هذه الموسيقا بمنظارٍ ورؤيةٍ مختلفةٍ، فإذا كانت الموسيقا عند شوبنهاور قد مثّلت وعبّرت عن الإرادة، فإنّها قد مثّلت عند نيتشه روح الأسطورة الدّيونيزوسيّة المأساويّة، لذلك يقول نيتشه: **(الموسيقا تستطيع أن تهب الميلاد للأسطورة: وقبل كلّ شيءٍ للأسطورة المأساويّة الّتي هي مثلٌ أخلاقيٌّ للمعرفة الدّيونيزوسيّة)**[71].

فتراجيديا الوجود وألمه عند شوبنهاور [كما أشرنا] يقابلها نيتشه ببعدٍ استيطيقيٍّ جماليٍّ فنيٍّ يقرّ بأنّ الوجود يحتمل تأويلاتٍ كثيرةً، وما تبريره أو تأويله بالعقل، أو بالعلم، بالدّين أو بالمثل فقط إلّا طرقًا لبابٍ واحدٍ من آلاف الأبواب، وهذا البعد الاستيطيقيّ الّذي يطرقه نيتشه هو قبل كلّ شيءٍ تقبّلٌ للوجود كما هو بقسوته وشقائه، بألمه وموته وليس هروبًا منه وبحثًا عن طرائقٍ وسبلٍ للخلاص منه، فخطأ شوبنهاور كان برأي نيتشه أنّه

---

[67]- أبولو وديونيزوس هما شخصيات أسطورية كما تذكر الميثولوجيا اليونانية، فأبولو كان يمثل إله الشمس والترتيب والنظام والعقل في اليونان القديمة، أما ديونيزوس فكان يمثل إله الخمر والكرمة والخصب وكذلك إله الرقص والغناء.

[68]- فنك، أويغن: فلسفة نيتشة، مرجع سابق، ص: 15.

[69]- توفيق، سعيد محمد: ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص: 245؛ انظر أيضًا: عنيات، عبد الكريم: نيتشه والإغريق، إشكالية أصل الفلسفة، ط1، منشورات الاختلاف، لبنان، 2010، ص: 58.

[70]- توفيق، سعيد محمد: ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور، مصدر سابق، ص: 239.

[71]- جين، لورانس؛ وشين كيتي: أقدم لك نيتشه، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص: 20.

قد عدَّ الفنّ جسرًا يؤدّي إلى نفي الحياة[72]، في حين أنّ الفنّ عند نيتشه هو الحياة كلّها، لأنّه إرادة إثباتٍ وتأكيدٍ، إنّه إرادة الخلق والإبداع الّتي تحمل التّناقضات والتّصارعات وتواجهها وتعمّقها، بدل أن تهرب منها إلى الخلاص بالإنكار والنّفي.

بذلك نكون قد بحثنا في التّأصيل لفكرتيّ الإرادة عند الفيلسوفين الألمانيّين: آرتور شوبنهاور وفريدرش نيتشه، بمعنييها المختلفين، كإرادة حياةٍ وإرادة قوّةٍ، مدركين تمامًا وكما قلنا سابقًا، أنّ المقارنة بينهما تحتاج إلى بحوث طويلةٍ متفرّدةٍ. فما الخلاصة الّتي يمكننا الآن أن نخرج بها من هذا البحث، بعد أن أجرينا هذه الدّراسة المقارنة بينهما في فكرة الإرادة وتشعّباتها بالذّات؟ هل يمكننا القول: إنَّ هناك تكاملًا وتشابهًا بينهما، ومن ثمَّ بإمكاننا استنتاج بعض التّقاطعات، أم هناك اختلافٌ جذريٌّ وقطيعةٌ؟

ثالثًا: الإرادة بين شوبنهاور ونيتشه:

عرضنا في بحثنا الرّؤية الفلسفيّة لكلٍّ من شوبنهاور ونيتشه فيما يتعلّق بالمفهوم الفلسفيّ الرّئيسيّ لدى كلٍّ منهما ألا وهو إرادة الحياة وإرادة القوة، وقد خلصنا في هذا البحث إلى النّتائج الآتية: إنّ شوبنهاور لم يمجّد العقل، لأنّ مفهوم الإرادة عنده يمثّل الحقيقة الوحيدة، وكلّ ماعدا هذه الإرادة ليس إلّا تمثّلًا لها، بمعنى أنّ الأشياء كلّها عدا الإرادة ليست إلّا ظاهرًا للحقيقة الّتي تقبع وراء كلّ شيءٍ، في حين أنّ العقل عند نيتشه ليس متمايزًا ومستقلًّا عن باقي القوى الإنسانيّة، بل هو واقعٌ في صيرورةٍ مع باقي القوى الإنسانيّة، ولذلك كل من شوبنهاور ونيتشه لم يشدّدا على أهميّة العقل في مقابل ما طرحاه من قوىً أخرى أساسيّةٍ وجوهريّةٍ يمتلكها الإنسان كالحسّ والشعور والجسد والغريزة والحدس، على اعتبار أنَّ الإنسان ليس بالعقل وحده يحيا.

إنّ خطأ شوبنهاور كان برأي نيتشه في أنّه عدَّ الفنّ جسرًا يؤدّي إلى نفي الحياة، في حين أنّ الفنّ عند نيتشه هو الحياة كلّها، لأنّه إرادة إثباتٍ وتأكيدٍ، فصحيحٌ أن نيتشه و شوبنهاور قد اتّفقا على أنّ تأثير الموسيقا هو أعمق بكثيرٍ من تأثير باقي الفنون، إلّا أنّ كلًا منهما نظر إلى هذه الموسيقا بمنظارٍ ورؤيةٍ مختلفةٍ، فالموسيقا عند شوبنهاور مثّلت الإرادة، في حين وبالمقابل تبدت عند نيتشه كروحٍ للأسطورة الدّيونيزوسيّة المأساويّة، وصحيح أيضًا أنّ نيتشه ورث عن شوبنهاور فكرة الإرادة وتمجيد الغريزة إلا أنّه خالفه في تصوّره للحياة على أنّها ألمٌ، ففلسفة نيتشه تكمن في شجاعتها الّتي تتقبّل وترضى الألم في الحياة ولا تسعى للخلاص منها كما فعل شوبنهاور، لأنّ الإرادة التي يدعو إليها نيتشه إرادة القوة لا إرادة الحياة.

---

[72]- نيتشه، فريدرش: إرادة القوة–محاولة لقلب كل القيم، مصدر سابق، ص: 282.

وجدنا أنّ نيتشه انطلق من فلسفة شوبنهاور ومن الفارق بين الشّيء في ذاته والمظهر وبين الإرادة والتّمثّل، عندما كان واقعًا تحت تأثيره في المرحلة الفنيّة الرّومانتيكيّة من حياته، إلّا أنّ نيتشه لم يتأثّر بوسائل الخلاص الدّينيّة الأخلاقيّة الّتي طرحها شوبنهاور، وإنّما تأثّر في موضوعة الفنّ بالذّات، كذلك شهدنا حالة اتفاقٍ ومقاربةٍ بين شوبنهاور ونيتشه فيما يخصّ تأكيدهما دور الجسد وأهميّته في تحقيق الإرادة عند كلٍّ منهما، إذ إنَّ كليهما عدّا العقل مجرّد خادمٍ للجسد، فهو تمثّلٌ وفق رؤية شوبنهاور، في حين ووفق نيتشه الجسد هو ميدان حربٍ وسلامٍ، لانّ الجسد عند نيتشه هو ظاهرةٌ أساسيّةٌ تمثّل الحامل الأساسيّ والرّكيزة الأصيلة لإرادة القوّة، بينما الجسم وفق شوبنهاور هو تلك العلاقة الخاصّة الّتي بها يرتبط بالذّات، هذه الذّات الّتي تتمثّل تجليّات الإرادة في جسدها.

تبيّن لنا أنّ إرادة الحياة عند شوبنهاور تكون الذّات فيها فرديّةً مرتبطةٌ بالجسد ومتمايزةٌ عن العقل، بينما وبالمقارنة فإنّ الذّات عند نيتشه المتجليّة في إرادة القوّة لا تستطيع أن تؤدّي مهامها إلّا في علاقتها مع إرادة القوى الأخرى، الّتي تتصارع وتتنازع معها، بمعنى أنّ الذّات عند نيتشه هي بحاجةٍ لذواتٍ أخرى لتتجلّى مكامن إرادة القوّة فيها، لأنّ إرادة القوة عند نيتشه تمثّل علاقة قوّةٍ مع قوّةٍ أخرى، وهذه العلاقة هي علاقة تنازعٍ وصراعٍ، لا من أجل البقاء، بل من أجل القوّة، والقوّة وحدها، إذ كلّ رغبةٍ لدى إحدى القوّتين تمثّل موضوعًا ملحًّا وضروريًّا لرغبة القوّة الثّانية.

تبدّى لنا في هذا البحث كذلك أنّ إرادة القوة عند نيتشه تمثّل تأكيدًا للحياة وتأكيدًا لعمقها، بينما إرادة الحياة عند شوبنهاور تنكر الحياة وتسعى للخلاص منها، لذلك فقد مثّل الفنّ عند شوبنهاور وسيلةً وجسرًا لنفي الحياة، بينما عكس الفنّ عند نيتشه تلك الخصومة بين أبولو وديونيزوس، الّتي تحرّض على إرادة القوّة في الحياة، فإرادة الحياة عند شوبنهاور، هي إرادةٌ عمياءٌ، لا تخضع لا لعقلٍ ولا لمنطقٍ، في حين إرادة القوّة عند نيتشه ليست إرادةً عمياءً، بل هي وسيلةٌ لتحقيق السّعادة والمرح في الحياة والعالم، ولذلك قد قابل الحزن والتّشاؤم عند شوبنهاور المرح والفرح واللّعب النّيتشويّ لأقصى الحدود، فالتّراجيديا الّتي مثلتها إرادة الحياة عند شوبنهاور، قابلها عند نيتشه بعدٌ استيطيقيٌّ عكسه الفرح بالحياة رغم الجوانب المأساويّة بها، فنيتشه واجه الحياة بفظاعتها وقساوتها كلّها وتقبّل الموت فيها، بينما شوبنهاور لم يواجه الحياة بل استسلم لإرادتها. فإرادة الحياة عند شوبنهاور قد وصّفت العالم كشرٍّ وشقاءٍ، ومن ثمَّ فقد تجلّت كتشاؤمٍ ونظرةٍ سلبيّةٍ إلى الحياة، تخيّم على العالم، في حين إرادة القوة عند نيتشه تحمل طابعًا إيجابيًّا يحرّض على الإنطلاق نحو الحياة بهدف تغييرها.

كذلك وضّحنا أنّ الدّين في المرحلة الثّانية من حياة شوبنهاور كان تعلّقًا بالنيرفانا، الّتي هي كبتٌ لرغبات الإنسان الدّنيويّة، عن طريق ذوبانه في الرّوح الكليّ، أيّ إنَّ الدّين عند شوبنهاور قد انعكس وتجلّى كإنكارٍ للحياة ولألمها، في حين كان الدّين عند نيتشه هو نقدٌ للقيم المسيحيّة الأخلاقيّة ليس كدينٍ، بل كنقدٍ للأساليب والمفاهيم والأسس الّتي بنينا عليها مطلقاتنا، الّتي كانت تدعونا لترك الحياة والعالم الدّنيويّ، وهذا ما شحذ له نيتشه كل ما يملك من وسائلٍ لتبيان الأوهام الّتي علقت بتلك الأسس والمفاهيم.

بينماوجدنا أنّ الألم مرتبطٌ بالحياة، لكن هذا الألم عند شوبنهاور هو حالةٌ سلبيّةٌ يتمّ الاستسلام لها والسّعي للخلاص منها، في حين عند نيتشه هو حالةٌ إيجابيّةٌ تعكس مدى تقبّل الإنسان لهذا الألم وكيفيّة إرتضائه له، كما يرضى الفرح والسّعادة، لأنّ الحياة ليست إلّا هذا الصّراع بين الألم والحزن والفرح والسّعادة، فكلّ ولادةٍ جديدةٍ لا بدّ أنّها مصحوبةٌ بألمٍ، وبذلك الألم عند نيتشه ليس ألمًا سلبيًّا كما عند شوبنهاور. فكلٌّ من شوبنهاور ونيتشه قد اتّفقا في أنّ الألم لا بدّ ملازمٌ للحياة، لكنْ طريقة طرح الخلاص من هذا الألم تجلّت باتّفاقهما على دور الفن، فكان فنًّا يهرب من الحياة ويسعى للخلاص من إرادتها عند شوبنهاور، في حين مثّل الفنّ عند نيتشه الطّاقة الإيجابيّة الخلاقة الّتي تبدع باستمرارٍ.

اتّفق كلٌّ من شوبنهاور ونيتشه على ضرورة العبقريّة كسبيلٍ من سبل الخلاص رغم اختلاف توصيف كلٌّ منهما لهذه العبقريّة، فبينما عند شوبنهاور العبقريّة هي رجحان العقل على الإرادة، نجدها عند نيتشه متمثّلةً في الطّاقة الإيجابيّة، والقوّة المتينة الّتي يسعى الفرد من خلالها لمواجهة تيار التّقليد والاجترار.

تَمثَّل الخلاص وفق شوبنهاور من شرّ هذه الإرادة بضرورة العودة إلى الفلسفة، بوصفها تمثّل الخير الأسمى، بينما الفلسفة عند نيتشه هي رفضٌ وعدم قبولٍ للتّقويم التّقليديّ السّلبيّ تجاه الحياة، والّذي يتعالى على هذا العالم، لأنّ القيمة الحقيقيّة لحياتنا وعالمنا تكمن في عمق هذه الحياة، فالإرادة –إرادة الحياة عند شوبنهاور– هي في جوهرها إرادةٌ واحدةٌ، في حين الإرادة –إرادة القوة عند نيتشه– هي في جوهرها إراداتٌ متعدّدةٌ، بين قوّةٍ مسيطرةٍ غالبةٍ و قوّةٍ مسيطرٌ عليها مغلوبةٌ.

وبذلك نجد أنّ شوبنهاور ونيتشه بوصفهما فيلسوفين ألمانيّين قد مثّل كلٌّ منهما رؤيته الفلسفيّة الخاصّة، فيما يخصّ إرادة الحياة وإرادة القوّة، ولكن من منظورين مختلفين. رغم أنّنا لا ننكر أنّ نيتشه قد تأثّر بشوبنهاور إلى حدٍّ كبيرٍ، وخصوصًا في مسألتي الفنّ والإرادة، لكن ذلك لا يعني بالطّبع أنّ التّأثّر هو تأثّرٌ مطلقٌ، فقد شكّلت الإرادة، والتّشاؤم، والأخلاق والدّين ركائز ومحطّاتٍ مفصليّةً أساسيةً في فلسفة نيتشه، قد ثبّت

نيتشه بعضها، وأكّد وعارض ونقد بعضها الآخر، ومن ثمَّ فقد لمسنا في فلسفتهما أحيانًا اتّفاقًا ومقاربةً وأحيانًا أخرى قطيعةً، لكن حتّى هذا الاتّفاق والتّكامل بينهما لا يعني على الإطلاق أنّهما يمثّلان نسخةً واحدةً عن بعضهما، لأنّه كما بيّنا سابقًا، حتّى الاتّفاق بينهما بالرّأي قد اتّخذ مساراتٍ مختلفةً، وعكس الرّؤية الفلسفيّة الخاصّة لكلٍّ منهما، تلك الرّؤية الفلسفيّة الّتي لا تشبه نظيرتها الفلسفيّة الأخرى.

ثبت بالمصادر والمراجع:

أولًا: المصادر باللغة العربية:

1. شوبنهاور، آرتور: العالم إرادة وتمثلًا، ترجمة وتقديم فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، 1994.

2. شوبنهاور، آرتور: العالم إرادة وتمثلًا، ترجمة وتقديم: سعيد توفيق، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2006.

3. نيتشه، فريدرش: إرادة القوة–محاولة لقلب كل القيم، ترجمة: محمد الناجي، إفريقية الشرق، المغرب، 2011.

4. نيتشه، فريدرش: أفول الأصنام، ترجمة: حسان بورقية ومحمد الناجي، ط1، إفريقية الشرق، 1996.

5. نيتشه، فريدرش: انسان مفرط في انسانيته– كتاب العقول الحرة، ترجمة: محمد الناجي، إفريقية الشرق، بيروت، 2002.

6. نيتشه، فريدرش: شوبنهاور مربيًا، ترجمة: قحطان جاسم، منشورات الاختلاف، العراق، ط1، 2016.

7. نيتشه، فريدرش: عدو المسيح، ترجمة: جورج ميخائيل ديب، دار الحوار، ط2، د ت.

8. نيتشه، فريدرش: هكذا تكلم زرادشت، ترجمة: فليكس فارس، دط، المكتبة الثقافية، بيروت، دت.

ثانيًا: المراجع باللغة العربية:

1. أمين، أحمد؛ وزكي، نجيب محمود: قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1967.

2. أندلسي، محمد: نيتشه وسياسة الفلسفة، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 2006.

3. بدوي، عبد الرحمن: خلاصة الفكر الأوروبي– شوبنهاور، دار القلم، بيروت، 1942.

4. بدوي، عبد الرحمن: خلاصة الفكر الأوروبي– نيتشه، ط5، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975.

5. توفيق، سعيد محمد: ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1983.

6. جعفر، صفاء عبد السلام علي: محاولة جديدة لقراءة فريدرش نيتشة، دار المعرفة الجامعية، 1999.

7. جين، لورانس وشين كيتي: أقدم لك نيتشه، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002.

8. دولوز، جيل: نيتشه والفلسفة، ترجمة: أسامة الحاج، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993.
9. زكريا، فؤاد: نوابغ الفكر الغربي- نيتشه، ط2، دار المعارف، مصر، 1966.
10. ستيبان، أوديف: على دروب زرادشت، ط1، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، 1983.
11. سوندرز، بيلي: فن الأدب-مختارات من شوبنهاور، ترجمة: شفيق مقار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012.
12. شتاينر، رودولف: نيتشه مكافحًا ضد عصره، ترجمة: حسن صقر، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، 1998.
13. عبد اللطيف، نبيل: فلسفة القيم-نماذج نيتشوية، التنوير للطباعة والنشر، توزيع دار الفارابي، بيروت، دت.
14. غرانيية، جان: نيتشه، ترجمة: علي بو ملحم، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2008.
15. غريزي، وفيق: شوبنهاور وفلسفة التشاؤم، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2008.
16. فنك، أويغن: فلسفة نيتشه، ترجمة: الياس بديوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1974.
17. كامل، فؤاد: الفرد في فلسفة شوبنهاور، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر 1991
18. كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة، ط4، دار المعارف، مصر، 1966.
19. مونتيبيلو، بيير: نيتشه وإرادة القوة، ترجمة: جمال مفرج، ط1، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، 2010.

ثالثًا: المعاجم الفلسفية

1. سعيد، جلال الدين: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004.
2. صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1994.

رابعًا: المصادر الأجنبية

1. Nietzsche,Friedrich: Jenseit von Gut und Böse, zur Genealogie der Moral, der Fall Wagner,GötzenDämmerung,der Antichrist, Werke, Band3, Frankfurt/Main,u. a. 1972.

خامسًا: المراجع الأجنبية:

1. Christopher, Ronald Trogan: Suicide and Freedom from Suffering in Schopenhauer- Die Wille und Vorstellung, Vol (III), N(1), 2013.